قراءة في غريب القرآن للسجستاني

ضاحي عبد الباقي محمد

مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

أُلفت في العربية مصنفات كثيرة لتوضيح الغريب من الألفاظ الواردة في كتاب الله العزيز، وهو ما يستغلق فهمه على القارئ أو السامع ويختلف كمه وفق علمه بالعربية ومدى إلمامه بدلالة ألفاظها.

وأول ما وصلنا من مصنفات في هذا المجال رسالة لابن عباس عن طريق الرواية بالمشافهة؛ لأن عهده لم يكن عهد تدوين. ثم تتابعت الكتب في هذا الموضوع حتى عصرنا هذا الذي نعيش فيه، ففي تراثنا زاذ وفير وكم هائل من هذه الكتب.

وفيما يلي طائفة من أصحاب هذه الكتب :

١- أبان بن تغلب بن رباح البكري، المتوفى سنة ١٤١هـ (كشف الظنون ١٢٠٧).

٢- النضر بن شُمَيل، المتوفى سنة ٢٠٣هـ (كشف الظنون ١٢٠٧).

٣- أبو عبيدة مَعمر بن المُثَنَّى، المتوفى سنة ٢١٠هـ (الفهرست ٣٥، وكشف الظنون ١٢٠٨).

٤- أبو الحسن سعيد بن مَسعدة الأخفش الأوسط، المتوفى سنة ٢٢١هـ (كشف الظنون ١٢٠٨).

٥- أبو عبيد القاسم بن سلاّم، المتوفى سنة ٢٢٤هـ (الفهرست ٣٥، وكشف الظنون ١٢٠٧).

٦- محمد بن سلاّم الجمحي، المتوفى سنة ٢٣١هـ (الفهرست ٣٥).

٧- أبو عبدالرحمن اليزيدي، المتوفى سنة ٢٣٧هـ (الفهرست ٣٥) واسم مصنفه "غريب القرآن وتفسيره". وقد نشره محققًا محمد سليم الحاج (بيروت ١٩٨٥). ثم الدكتور عبدالرزاق حسين سنة ١٩٨٧ (مؤسسة الرسالة - ببيروت ١٩٨٧).

٨- محمد بن دينار الأحول، المتوفى سنة ٢٥٩هـ (الفهرست ٣٥).

٩- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٦٦هـ (الفهرست٣٥، وكشف الظنون ١٢٠٤) واسم كتابه " تفسير غريب القرآن " وقد حققه السيد صقر ونشره سنة ١٩٥٨ .

١٠- أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر المعروف بالشمشاطي، من علماء القرن الرابع الهجري (مقدمة محقق كتاب " الأنوار ومحاسن الأشعار " للشمشاطي ص ١١ ط. وزارة الإعلام بالكويت).

١١- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد، المتوفى سنة ٣٢١هـ (لم يكمله،كما في كشف الظنون ١٢٠٨).

١٢- أبو زيد البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ (الفهرست ٣٥).

١٣- محمد بن عزير السجستاني، المتوفى سنة ٣٣٠هـ (الفهرست ٣٥، وكشف الظنون ١٢٠٨) وعنوان كتابه " غريب القرآن "، وهو موضوع حديثنا.

١٤- أبو الحسن العروضي الذي كان يعيش في القرن الرابع الهجري (الفهرست ٣٥).

١٥- أبو بكر أحمد بن كامل، المتوفى سنة ٣٥٠هـ (كشف الظنون ١٢٠٧).

١٦- أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، المتوفى سنة ٤٠١هـ (كشف الظنون ١٢٠٦) وقد ألف كتاب " الغريبين " وجمع فيه غريب القرآن وغريب الحديث، وحققه الدكتور محمود الطناحي، ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الجزء الأول منه.

١٧- أبو محمد مكي بن أبي طالب، المتوفى سنة ٤٣٧هـ واسم كتابه " العمدة في غريب القرآن " وقد حققه يوسف عد الرحمن المرعشلي ونشره في بيروت سنة ١٩٨١ .

١٨- أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ (كشف الظنون ١٢٠٨) وقد طبع كتابه " المفردات فى غريب القرآن " طبعات.

١٩- أبو عبدالله محمد بن يوسف الكفرطابي، المتوفى سنة ٥٠٣هـ (كشف الظنون ١٢٠٨).

٢٠- أبو موسى محمد بن أبى بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٨١ هـ واسم كتابه " المجموع المغيث في غريبى القرآن والحديث " وقام بتحقيقه الأستاذ عبد الكريم العزباوي، ونشره مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامى بمكة المكرمة سنة ١٩٨٦ - ١٩٨٩ م.

٢١- أبو المعالي أحمد بن على البغدادي الحلبي المعروف بابن السمين، المتوفى سنة ٥٩٦ هـ، وكتابه " مفردات القرآن " " أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن " كما يقول صاحب كشف الظنون (١٢٠٨).

٢٢- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (كشف الظنون ١٢٠٨، وتاريخ الأدب لبروكلمان ٩ / ٣٤٩).

٢٣- زين الدين محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي. فرغ من تعليقه سنة ٦٦٨هـ (كشف الظنون ١٢٠٨).

٢٤- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين، المتوفى سنة ٧٤٥هـ وكتابه هو " تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب " وقد حققه الدكتور سمير المجذوب (بيروت ١٩٨٣م).

٢٥- سراج الدين أبو حفص عمر بن أبى الحسن على بن أحمد المعروف بابن الملقن، المتوفى سنة ٨٠٤ هـ واسم كتابه " تفسير غريب القرآن " وقد طبع بتحقيق الدكتور سمير المجذوب (بيروت ١٩٨٧م).

٢٦- عبد البر بن محمد بن الشحنة الحنفي، المتوفى سنة ٩٢١هـ، واسم مؤلفه "تفسير غريب القرآن" ومنه نسخة في دار الكتب المصرية (بروكلمان - القسم السادس ٣٢٥).

السجستاني صاحب تفسير غريب القرآن :

لم تسعفنا كتب التراجم بترجمة مسهبة وافية عنه على الرغم من شهرة كتابه وذيوع انتشاره وكثرة تداوله. وكل ما قيل عنه أنه:

أبو بكر محمد بن عزيز العزيزي السجستاني(*) أديب مفسر كان من تلاميذ أبي بكر بن الأنباري. عاش في بغداد، وكان يؤدب أولاد العامة. ويذهب إلى جامع المدينة كل جمعة(١). وفيما يتصل بكلمة سجستاني يقول ابن النجار: "ولا أدري قدم إلى سجستان أو أصله منها" (٢) وكان أديبًا صالحًا فاضلاً (٣) متواضعًا (٤).

واشتهر بكتابه " تفسير غريب القرآن " الذي أطلق عليه أيضًا "نزهة القلوب" ـ وسنعرض لذلك فيما بعد ـ الذي قيل إنه ألفه في خمس عشرة سنة، وكان يقرؤه على شيخه ابن الأنباري(٥) ويصلح له فيه مواضع (٦) ومات سنة ٣٣٠ هـ(٧).

(*) انظر في ترجمته:
- خاتمة التبيان لابن الهائم. - تاريخ الإسلام ٩ / ٣٨٤.
- بغية الوعاة ١ / ١٧١. - طبقات المفسرين للداودي ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤

(١) خاتمة التبيان لابن الهائم، نقلاً عن ابن خالويه.

(٢) تاريخ الإسلام ٩ / ٣٨٤.

(٣) تاريخ الإسلام ٩ / ٣٨٤، وطبقات المفسرين ٢ / ١٩٤.

(٤) طبقات المفسرين ٢ / ١٩٤.

(٥) بغية الوعاة ١ / ١٧١، وطبقات المفسرين للداودي ٢ / ١٩٤.

(٦) تاريخ الإسلام ٩ / ٣٨٤، وطبقات المفسرين ٢ / ١٩٤.

(٧) بغية الوعاة ١ / ١٧١، وطبقات المفسرين ٢ / ١٩٤، والتاج (عزز).

الاختلاف في اسم عزير :

اختلف المترجمون للسجستاني والعلماء المتخصصون في ضبط الأعلام في الحرف الأخير من " عزير " أهو بالزاى أم بالراء.

قالت طائفة إنه بالراء فقط وأخرى قالت إنه بالزاي. ولابن حجر دراسة موعبة في "تبصير المنتبه" عن هذا الموضوع وفيمن قال إنه بالراء أو بالزاي في آخره (١)، وأورد الزبيدي كلامه وزاد نقولاً من غيره في مادة (عزز) بتاج العروس. ويذكر الزبيدي أن هناك رسالة مستقلة في هذا الموضوع ألفها الحافظ أبو الفَضْل ابنُ ناصر السلامي.

ويتلخص ما كتبه الزبيدي أن البغداديين يقولون إنه بالراء، ومنهم الحافظ ابن ناصر وابنُ نُقْطَة وابن النجَّار وأبو محمد بن عبيد الله وعبدالله بن الصَّباح البَغْدادي، وتبعهم من المغاربة الصدفي وأبو بكر بن العربي والعَبْدَري والقاسم التُّجيبيّ. وذكر طائفة ممن قالت إنه بالزاي فنسب ذلك إلى الدارقطني وعبدالغني والخَطيب وابنِ ماكُولا.

ونقل الزَّبيدي من حجج من قال إنه بالراء أن جماعة منهم ابن نُقْطَة ذكر أنه رَأَى نسخة عند شخص معين حدده مكتوباً عليها أنها لمحمد بن عُزَير أو بخط ابن عُزَير، بالراء في آخره.

وأما الفريق الآخر الذي يرى أنه بالزاي فحجة بعضهم أن الكاتب قد يذهل عن نقط الزاء فتصير راءً، وحجة غيرهم أنه قد يكون فوقها نقطة فجعلها بعض من لا يميّز علامة الإهمال.

وكونه بالزاء هو الذي مال إليه الزبيدي وارتضاه (٢).

---

(١) تبصير المنتبه ٩٤٨ – ٩٥٠.

(٢) انظر التاج (عزز).

على أن ممن قال إنه بالراء علل ذلك بأنه من بني عَزْرة (١) ورُدّ ذلك بأن القياس فيه العَزْرِي لا العزُيَرْي (٢).

وقد نبهني الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب – رحمه الله – إلى أن أحد تلاميذه حقق هذا الاسم وانتهى إلى أنه "عزير" بالراء المهملة وذلك لأنه كان يهوديًّا يسمى عزرا، فلما هداه الله إلى الإسلام غير اسمه من عزرا إلى عزير.

هذا وقال بعضهم إنه نطق بالحرفين فقيل عُزَيْر وعُزَيْز (٣).

منهج السجستاني في ترتيب الألفاظ :

انتهج علماء غريب القرآن في ترتيب الألفاظ التي انتخبوها نهجين رئيسين وهما :

الأول – وفق ترتيب الآيات في المصحف، وذلك مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لعبد الله بن يحيى ابن المبارك، وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب للماردِيني، والتبيان لابن الهائم.

الثاني – حسب الترتيب الهجائي، وهذا الأخير كان ذا طرائق قدداً:

أ – فمنهم من راعى آخر الكلمة، فرتب على أساسه، وذلك وفق ترتيب الجوهري للصحاح ومَنْ تبعه كابن منظور في "لسان العرب" والصَّغاني في "العباب" والفَيْروزابادي في "القاموس المحيط". وقد سار على هذا النهج محمد بن أبي بكر الرّازِي، يقول حاجي خليفة عن كتابه هذا: "ورتب ترتيب الجوهري" وقد قام بتحقيقه الدكتور عبد الله عبدالرحمن بكلية الآداب بجامعة الكويت. والمعروف أن الرازي هذا اختصر الصحاح محافظًا على ترتيبه وسماه مختار الصحاح.

(١) الأنساب ٤ /١٨٨.

(٢) طبقات المفسرين ٢ /١٩٣.

(٣) تاريخ الإسلام ٩ / ٣٨٤.

ب- ومنهم من لاحظ أول الكلمة، وهؤلاء لم يسيروا وفق منهج معين:

١- فمنهم من راعى جذر الكلمة مثل الهروي في كتابه الغريبين.

٢- ومنهم من نظر إلى الحرف الأول دون مراعاة لأصلها الاشتقاقي كالسجستاني في كتابه غريب القرآن.

وهذا الكتاب هو الذي يعنينا من بين كتب غريب القرآن.

وفيما يلي وقفة مع منهجه في ترتيب الغريب الذي أورده في كتابه.

مع السجستاني في ترتيب غريب القرآن:

المنهج الذي اتبعه السجستاني في عرض غريب القرآن أنه رتب الألفاظ القرآنية ترتيبًا هجائيًا وفق الشكل الخارجي للكلمة دون مراعاة للأصل الاشتقاقي، فمثلاً: ﴿ تُدهن ﴾ ورد في التاء و ﴿ يُدْهنون ﴾ في حرف الياء. ومراعاة الأصل الاشتقاقي يقتضي أن يكونا في حرف الدال (دهن).

ثم قسم كل حرف ثلاثة أقسام: المفتوح يليه المضموم وينتهي بالمكسور، ففي باب الكاف المفتوحة مثلاً يضع ﴿ كَبُر ﴾ [الصف: ٣] ويضع ﴿ الكُبَر ﴾ [المدثر: ٣٥] في باب الكاف المضمومة ويضع ﴿ كِبْر ﴾ [غافر: ٤٠ / ٥٦] في باب الكاف المكسورة، ثم يرتب كل صنف (المفتوح والمضموم والمكسور) وفق ترتيبه في المصحف، فما يبدأ مثلاً بالراء المكسورة في سورة آل عمران يسبق ما يبدأ بالراء المكسورة في سورة النساء، و ما يرد في الآية العشرين مثلاً بإحدى السور يسبق ما يرد في الثلاثين من السورة نفسها حتى وإن كان الحرف الثاني من الآية الأخيرة يسبق ما في الآية المتقدمة من حيث الترتيب الهجائي. وإن لكل من المنهجين مزاياه؛ فالمرتب وفق ترتيب المصحف لا يجهد الباحث نفسه في العثور على بغيته وإنما يسير مع الكلمة حيث ترد في موقعها من سورتها. ولكن هناك كلمات

تكررت في القرآن بنفس المعنى في المواضع التي وردت بها ومن عادة المؤلفين ألا يذكروها إلا في أول ورودها، فلو كان القارئ يقرأ الكلمة في السورة المتأخرة في الترتيب وليس له حظ من حفظ كتاب الله فإنه لا يصل إلى بغيته بسهولة إلا إذا استعان بمعجم لألفاظ القرآن. ومثال ذلك قوله تعالى ﴿فُرِجت﴾ التي وردت في الآية التاسعة من سورة المرسلات ووردت أيضًا في الآية السادسة من سورة ق، فالقارئ لسورة المرسلات لا يجد مراده في غريب هذه السورة لوروده في سورة ق ومثال ذلك أيضاً الكلمة القرآنية ﴿مَوَاخر﴾ التي ذكرت في سورة فاطر بالآية الثانية عشرة، فإن الباحث لا يجد مراده في تفسير غريب هذه السورة لأنها سبقت في الآية الرابعة عشرة من سورة النحل.

أما المرتب وفق النظام الهجائي فيسهل عليه الوصول إلى اللفظ المراد تفسيره بشريطة أن يكون على دراية بنهج مؤلفه في الترتيب.

ونلاحظ على السجستاني في عرضه أيضًا:

١- يذكر جزءاً من آية، أي كلمة أو كلمات، ونجده في الحالة الأخيرة يفسر الكلمة الغريبة من هذه الكلمات ويحدد موضع الآية وترتيبها في كتابه وفقاً لشكل الكلمة التي يفسرها وليس وفقًا لأول لفظ ورد في الآية، ومثال ذلك ﴿الكبرياء﴾ في قوله تعالى ﴿وتكون لكما الكِبرْياء في الأرض﴾ [التوبة: ٨٧] فهو يضع الآية في الكاف المكسورة تبعًا للكلمة التي يفسرها.

٢- عدم الالتزام أحيانًا بصورة اللفظ كما ورد في المصحف، فمن ذلك: ﴿القرآن﴾ [البقرة :١٨٥]، ﴿الإنجيل﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿الإفك﴾ [النور: ١١]، ﴿الأيامى﴾ [النور: ٣٢]، ﴿الأعجمين﴾ [الشعراء : ١٩٨]، ﴿أقواتها﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿الأحقاف﴾ [الأحقاف:٢١]، ﴿الأخدود﴾ [البروج: ٤] فقد كتبت في النزهة: قرآن، إنجيل، إفك، أيامى، أعجمين، أقوات، أخدود (انظر

النزهة ١٥٩، ٣٢، ٣٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٣٠).

٣- السهو عن ذكر بعض الألفاظ القرآنية وفق ترتيب المصحف وذلك داخل الترتيب الهجائي الذي انتهجه المؤلف، من ذلك:

أ - قدّم ﴿اصفَحْ عنهم﴾ من سورة الزخرف، الآية ٨٩. على ﴿الْغَوا فيه﴾ وهي من سورة فصلت، الآية ٢٦.

ب - قدم ﴿حَبّ الحصيد﴾ من سورة ق الآية ٩ على ﴿حَمِيّة﴾ من الآية ٢٦ من سورة الفتح.

ولعل السبب في هذا الخلل أن اللفظ الذي وضع في غير مكانه سقط من إحدى النسخ فاستدركه الناسخ في الحاشية فجاء ناسخ آخر نقل عن هذه النسخة فوضعه سهواً في غير مكانه.

٤- هناك ألفاظ لم يفسرها في موضعها من الترتيب الهجائي الذي اتخذه وسار عليه وإنما فسرها مع لفظ آخر قرآني ورد مقترناً به على الرغم من اختلاف كل منهما في الترتيب الهجائي، من ذلك:

أ - ﴿فَرْشًا﴾ الوارد في ﴿حَمُولةً وفَرْشًا﴾ من سورة الأنعام الآية ١٤٢ كان المتوقع تفسيره في الفاء المفتوحة لكنه فسره في الحاء المفتوحة مع (حَمُولة).

ب - ﴿مَقِيلاً﴾، الوارد في ﴿أحسن مَقِيلاً﴾ في الآية الخامسة من سورة الفرقان فسر في الألف المفتوحة مع (أحسن) وكان الظن أن يفسر في الميم المفتوحة.

جـ - ﴿سائبة﴾، و﴿وَصِيلة﴾، و﴿حَام﴾ في الآية ١٠٣ من سورة المائدة. كان المفروض أن تفسر الأولى في السين المفتوحة والثانية في الواو المفتوحة والثالثة في الحاء المفتوحة لكنه فسرها كلها في الباء المفتوحة مع ﴿بَحِيرة﴾.

على أن هناك ألفاظًا فسرها في غير موضعها بالإضافة إلى تفسيرها في موضعها مثل كلمة ﴿ مَبْثوثة ﴾ التي فسرها في الزاي المفتوحة مع ﴿ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ من الآية ١٦ من سورة الغاشية. وفسرها كذلك في الميم المفتوحة وفق ترتيبها الهجائي.

السجستاني وقراءة أبي عمرو :

وبالنسبة للألفاظ القرآنية التي حرص على ذكرها وفق الرسم المصحفي لاحظت أنه لم يراع قراءة حفص عن عاصم التي اتبعت في كتابة المصحف الشائع الآن في الشرق العربي، وإنما كتبت وفق قراءة أبي عمرو. ولا عجب في أن يلجأ إلى هذه القراءة ويترك قراءة حفص عن عاصم، لأنها القراءة التي كانت شائعة في ذلك الحين في مصر والشام كما يذكر ابن الجزري (١) وأعتقد أنها كانت أيضًا شائعة في العراق موطن السجستاني ذلك لأن أبا عمرو عاش في البصرة وكان إمام القراءة بها ومات بالكوفة سنة ١٥٤(٢) ، ومن غير شك انتشرت قراءته في البصرة وانتشرت كذلك في المدن القريبة منها كبغداد التي أقام بها السجستاني كما ذكرنا في ترجمته.

ونجد أنه وفق قراءة أبي عمرو هذه فسر كثير من العلماء الألفاظ القرآنية، وقد لاحظت ذلك في كتاب " بهجة الأريب " للمارديني من خلال تحقيقي له،كما لاحظته من خلال اطلاعي على غريب القرآن لعبدالله بن يحيى بن المبارك.

وممن سار على هذا الدرب زين الدين محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي المتوفى بعد سنة ٦٦٨هـ في كتابه "غريب القرآن " . والرازي هذا من الريّ وزار مصر والشام.

وقد لاحظت أن كل طبعات كتاب السجستاني التي اطلعت عليها لم تلتزم

(١) النشر ١ / ٤١، وانظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) للدكتور عبدالصبور شاهين.

(٢) التيسير في القراءات السبع ٤ .

بقراءة أبي عمرو وإنما كتبت الألفاظ القرآنية حسب قراءة حفص عن عاصم التي روعيت في طباعة المصحف المتداول في بلاد المشرق العربي بدءًا بمصر غربًا، إلا إذا تعارض ذلك مع تقسيم المؤلف لأوائل الألفاظ فتحًا أو ضمًا أو كسرًا، وذلك مثل ﴿نِسيا﴾ في الآية ٢٣ من سورة مريم التي وضعها في النون المكسورة وهي في المصحف المتداول في المشرق بالنون المفتوحة وفق قراءة حفص عن عاصم، و﴿يَسْحَتَكم﴾ في الآية ٦١ من سورة طه التي وضعها في الياء المفتوحة موافقة لقراءة أبي عمرو وهي في المصحف المتداول في المشرق وفق قراءة حفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء ﴿يُسْحِتكم﴾.

وقد لاحظ هؤلاء الناشرون قراءة أبي عمرو أيضًا عند اختلاف الحرف الأول وذلك مثل ﴿أُقِّتت﴾ من الآية ١١ من سورة المرسلات، فقد عالجوها في حرف الواو المضمومة تبعًا للمصنف الذي راعى قراءة أبي عمرو.

على أن السجستاني قد خالف نهجه أحيانًا فلم يبدأ بقراءة أبي عمرو، وهذا في كلمات قليلة جدًّا، ونلاحظ ذلك عندما يعرض كلمة وينص على أنها بقراءتين، يتبين لنا أن إحداهما لأبي عمرو، من ذلك ﴿نُنْشرها﴾ و ﴿نُنْشِزها﴾ في الآية ٢٥٩ من سورة البقرة، فقد بدأ بالصيغة الزائية وهي ليست قراءة أبي عمرو الرائية التي أخرها. ومن ذلك أيضًا ﴿تُنْبِت بالدهن﴾ و﴿تَنْبُت بالدُّهْن﴾ في الآية ٢٠ من سورة المؤمنون فقد وضعها السجستاني في التاء المفتوحة مخالفًا قراءة أبي عمرو التي هي بالتاء المضمومة.

وأعتقد أن عددًا من علماء التفسير فسروا كتاب الله وفق قراءات معينة غير قراءة حفص لكن الناشرين في البلدان التي تسود فيها قراءة حفص عن عاصم راعوا – في الغالب – كتابة الألفاظ القرآنية وفق هذه القراءة. وقد طبعت دار الكتب المصرية تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) وجاء في صدر الطبعة

الثالثة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب أن القرطبي فسر القرآن وفق قراءة نافع، ولكن الهيئة راعت في كتابة الآيات القرآنية المصحف المطبوع في دار الكتب حسب قراءة عاصم براوية حفص (١).

وممن تنبه إلى طبع تفسير للقرآن وفق القراءة التي التزم بها المفسر " دار إحياء الكتب العربية " لصاحبها عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٩٢٥ وهي تطبع تفسير القرآن الكريم للجلالين المحلي والسيوطي، فقد دونت على غلافه أنها راعت ضبط القرآن الكريم بالشكل التام حسب رواية الشيخين المفسرين وإن كانت تخالف رواية حفص أحيانًا.

طبعات النزهة:

إن تأليف هذا الكتاب في صورة مشرقة بهجة من حيث الصحة في تفسيراته والسهولة واليسر في ترتيبه جعلت الناس يقبلون عليه، يستشيرونه وهم يتلون كتاب الله ويتدارسونه، فانتشر بين الخاصة والعامة. وتضم المكتبات العامة والخاصة مئات النسخ منه، وفي دار الكتب المصرية وحدها – مضمومًا إليها المكتبات الملحقة بها كالتيمورية وطلعت – أحصيت ٢١ (إحدى وعشرين) نسخة تحمل اسم نزهة القلوب، و٣ ثلاث نسخ باسم غريب القرآن ونسخة باسم تفسير غريب القرآن، ونسخة بعنوان "مختصر نزهة القلوب". هذا بالإضافة إلى نسخة تحمل اسم "تفسير غريب القرآن " برقم ١٦٣ تفسير، دون على غلافها أنها للسجستاني وبالاطلاع عليها تبين لي أنها ليست له، فهي مرتبة وفق ترتيب المصحف، والمادة العلمية التي تشتمل عليها أكثر غزارة من مادة كتاب السجستاني. حقيقةً إنها تضمنت بعض العبارات الواردة عنده، ولكن هذا شيء طبعي لأن كتب التفسير ينقل بعضها عن بعض، فقد يكون مؤلفها رجع إلى كتاب السجستاني أو إلى

(١) انظر مقدمة الجزء الأول من القرطبي ص ٢.

مصدر من مصادره أو إلى كتاب أخذ عنه. هذا واسم مؤلف هذه النسخة غير مدون لا في صدرها ولا في خاتمتها.

وإذا كان لظهور المطبعة أثر ضخم في نشر تراثنا وتيسير الاطلاع عليه، فقد كان لتفسير غريب القرآن للسجستاني حظ من النشر عظيم، فقد طبع مرات أقدمها على ما أعتقد النسخة التي طبعت على هامش تفسير القرآن الكريم المسمى "تبصير الرحمن وتيسير المنان" لعلي بن أحمد المهايمي في مطبعة بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، وتوالت الطبعات بعد ذلك فنجده ينشر على هامش تفسير ابن كثير في "أره" سنة ١٣٠٧ هـ والقاهرة١٣٢٥ (١) وينشره محمد بدر الدين النعساني في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ(٢). وقام الشيخ مصطفى عناني بنشره مرتين: الأولى سنة ١٣٤٢ هـ (أي نحو سنة ١٩٢٣م) والأخرى سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) وكلاهما طبع بالمطبعة الرحمانية بالخرنفش بالقاهرة. والطبعتان متماثلتان في كل شيء عدا اختلاف ترقيم الصفحات نتيجة صف الحروف مرة أخرى.

ونشرته كذلك مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م) وكتبت على غلافه: "عني بتصحيحه وترقيمه وضبط ألفاظه وتعليق حواشيه لجنة من أفاضل العلماء". ثم طبعته دار الرائد العربي في بيروت بلبنان وكانت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م) وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في تحقيق التبيان، فإذا ذكر في الحواشي "النزهة" أو "مطبوع النزهة" فإنني أعني هذه الطبعة. ولقد تبين لي أنها صورة طبق الأصل من الطبعة الثانية التي نشرها الشيخ مصطفى عناني من حيث الضبط والهوامش وأرقام الصفحات وبداياتها ونهاياتها ما عدا صفحة العنوان التي غيرتها الرائد مكتفية باسم الكتاب والمؤلف.

والشيخ العناني عالم لغوي كان يدرّس بدار العلوم، ثم اختير المفتش الأول

(١) تاريخ التراث العربي ١ / ٧٥.

(٢) انظر معجم المطبوعات ١٠٠٨.

للعلوم العربية بالمعاهد الدينية الأزهرية. وكان مبرزاً في العلوم العربية والإسلامية ويشهد له بهذه المكانة أنه قبل عشرين عاماً من نشر هذا الكتاب تولى تصحيح طبعة القاموس المحيط التي نشرتها المطبعة المصرية الحسينية سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) وكان في أثنائها يدرّس في دار العلوم (١) لذا حرص على ضبط الكلمات الملبسة وعلق على بعض المواضع تعليقات مفيدة. وقد أوضح عمله في صفحة العنوان التي جاءت على النحو التالي: "غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب) للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، عني بتصحيحه وترقيمه وضبط المهم من ألفاظه وتعليق حواشيه ومراجعته على أصول الأستاذ مصطفى عناني بك المفتش الأول للعلوم العربية بالأزهر والمعاهد الدينية".

ودار الرائد بعملها هذا قد سطت على الكتاب وسلبت جهد محققه بحذف اسمه وعزو عمله من ضبط وتعليقات وغيرها إلى لجنة زعمت أنها هي التي قامت بهذا الجهد الضخم. وهذا اعتداء صارخ وظلم مبين وسرقة فاضحة. وهذه الجريمة في حق هذا الكتاب ومحققه الشيخ العناني سبقتها جريمة أخرى مشابهة تتمثل في طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح التي أشرنا إليها قبل، فهذه الطبعة صورة طبق الأصل من طبعة الشيخ العناني: الضبط هو الضبط والحواشي هي نفسها بحذافيرها. والخلاف الوحيد عدم التطابق في بداية الصفحات ونهاياتها وعددها. ومرد ذلك أن تصوير الكتب لم يكن قد غزا عالم المطابع فلجأ الناشر إلى جمع الحروف وصفها من جديد مما اقتضى التغيير الذي ذكرناه.

وأحب أن أشير إلى نسختين من هذا الكتاب طبعتا مرتين وفق ترتيب المصحف: إحداهما على هامش المصحف باسم "نزهة القلوب" طبعتها دار الكتب العلمية بلبنان بإذن من مشيخة المقارئ المصرية رقم (٥٥) وراجعه عبدالحليم

(١) انظر الصفحة الختامية ص ٤٢٠ من الجزء الرابع من القاموس، الطبعة الثالثة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، المطبعة المصرية.

بسيوني المصحح بإدارة الجامع الأزهر، وتاريخ الطبع غير مدون، وجعل تفسير كل لفظ أمام وروده في المصحف بقدر الإمكان.

ولا أدري هل الدار هي التي قامت بترتيب الكتاب بهذه الصورة أو أنها اعتمدت على نسخة مخطوطة مرتبة وفق الترتيب المصحفي ولم تشر إليها.

أما الطبعة الأخرى فهي صورة من المطبوعة على المصحف إلاّ أنها نشرت مستقلة في كتاب للشيخ محمد الصادق قمحاوي بعنوان "تهذيب غريب القرآن".

ولا أدري هل هي منقولة عن طبعة المصحف، أو عن نسخة أخرى لم يشر إليها، أو هي ترتيب جديد قام به الشيخ قمحاوي، وهو ما أشار إليه في المقدمة.

وعلى كلّ فالطبعتان ليس فيهما كلمة واحدة مضبوطة، سواء أكانت قرآنية أم تفسيرية.

وبعد: فإن حرص الناشرين لكتاب غريب القرآن للسجستاني وفق قراءة حفص عن عاصم الشائعة الآن في المشرق العربي، وليس وفق ما خطّه به مؤلفه موافقًا لقراءة أبى عمرو فى الغالب[1]، يجعلنا نقف وقفة طويلة مع جميع كتب التفسير السابق نشرها وكذلك المعدة للنشر للتأكد من القراءة التي كتب بها المفسر الألفاظ القرآنية المفسرة.

(١) نشر الكتاب في دمشق سنة ١٩٩٥م بتحقيق محمد أديب جمران، والتزم قراءة المؤلف. [هيئة التحرير].

المصادر والمراجع

* **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، تعليق عبدالله عمر البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
* **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
* **تاج العروس من جواهر القاموس**، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي – ط. الكويت.
* **تاريخ الأدب عند العرب**، تأليف كارل بروكلمان (الترجمة العربية).
* **تاريخ الإسلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر دار الغد العربي بالقاهرة.
* **تاريخ التراث العربي**، للدكتور فؤاد سزكين، ترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي، والدكتور فهمي أبو الفضل – الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧م.
* **تبصير المنتبه في تحرير المشتبه**، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تحقيق علي محمد البجاوي، المؤسسة العامة للتأليف والأنباء والنشر – القاهرة ١٩٦٧م.
* **التبيان في تفسير غريب القرآن**، لابن الهائم – خ بدار الكتب المصرية برقم ٨٤ تفسير.
* **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي – الهيئة العامة للكتاب ط. ٣).
* **الفهرست**، لابن النديم.
* **القاموس المحيط**، للفيروزأبادي – القاهرة ١٩١٣م.
* **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** – وكالة المعارف بإستانبول ١٩٤١م.
* **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ليوسف سركيس إليان.
* **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري – مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٥هـ.
* **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي – إستانبول ١٩٥١–١٩٥٥م.